كسب غيره متقدما كان او متاخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك
انهم افتخروا بابائهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى هاشم لا ياتينى الناس باعمالهم وتاتونى بانسابكم
ولا تسئلون عما كانوا يعملون ولا تواخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم بل ملة ابراهيم بل نكون ملة ابراهيم
اى اهل ملته كقول عدى بن حاتم انى من دين وبدين اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابراهيم وقرى ملة ابراهيم بالرفع اى
ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته حنيفا حال من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قائمة
والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل فى القدمين وتحنف اذا مال وانشد ولكنا خلقنا حنيفا
ديننا عن كل دين وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعى اتباع ابراهيم وهو على الشرك
قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اى قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك
قوله بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابراهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن
والحسين رضى الله عنهما سبطى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذرارى ابنائه الاثنى عشر
لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد فى معنى الجماعة ولذلك صح
دخول بين عليه بمثل ما امنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين اخر يماثل دين الاسلام فى كونه حقا حتى ان امنوا بذلك الدين المماثل كانوا
مهتدين فقيل فان امنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اى فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم
مساويا له فى الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذى هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل
لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذى تشير عليه هذا هو الراى الصواب
فان كان عندك راى اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت صاحبك
وتوقيفه على ان ما رايت لا راى وراءه ويجوز ان لا يكون الباء صلة ويكون باء الاستعانة كقولك كتبت
بالقلم وعملت بالقدوم اى فان دخلوا فى الايمان بشهادة مثل شهادتكم التى امنتم بها وقرا ابن عباس وابن مسعود
رضى الله عنهما بما امنتم به وقرا ابى بالذى امنتم به وان تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فانما هم فى شقاق
اى فى مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق فى شىء او فان تولوا عن الشهادة والدخول فى الايمان بها
فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم
واجلاء بنى النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تاخر الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اى
يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك صبغة الله
مصدر موكد منتصب عن قوله امنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهى فعلة من صبغ كالجلسة من
جلس وهى الحالة التى يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى
كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال
الان صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا امنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا
به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغة ولم نصبغ صبغتكم وانما جىء بلفظ الصبغة
على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن من الله صبغة
يعنى انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته وقوله تعالى ونحن له عابدون
عطف على امنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم

صبغة الله

صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر موكد هو الذى ذكره سيبويه والقول
ما قالت حذام قرا زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون والمعنى اتجادلوننا فى شان الله واصطفائه النبى من العرب دونكم
وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا فى انا عباده وهو ربنا
وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى فى ذلك لا يختص به عجمى دون عربى اذا كان اهلا للكرامة ولنا اعمالنا
ولكم اعمالكم يعنى ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله فى اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك
ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اى نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه
لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا لانا اهل الكتاب والعرب عبدة اوثان ام تقولون تحتمل
فيمن قرا بالتاء ان يكون ام معادلة للهمزة فى اتحاجوننا بمعنى اى الامرين تاتون المحاجة فى حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية
على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرا بالياء
لا تكون الا منقطعة قل ءانتم اعلم ام الله يعنى ان الله شهد لهم بملة الاسلام فى قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن
كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اى كتم شهادة الله التى عنده انه شهد بها وهى شهادته لابراهيم
بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثانى انا لو
كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة فى كتبهم وسائر شهاداته
ومن فى قوله شهادة من الله مثلها فى قولك هذه شهادة منى لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله
سيقول السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون
لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت اى فائدة
فى الاخبار بقولهم قبل وقوعه قلت فائدته ان مفاجاة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب
اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه وقبل الرمى يراش
السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم وهى بيت المقدس لله المشرق والمغرب اى بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يهدى
من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما يوجب الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى
الكعبة وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهى صفة بالاسم الذى هو وسط
الشىء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه السلام انطوا الثبجة يريد الوسط
بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر الا انه الحق تاء التانيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط
لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائى
كانت هى الوسط المحمى فاكتنفت ... بها الحوادث حتى اصبحت طرفا
وقد اكتريت بمكة جمل اعرابى للحج فقال اعطنى من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين
الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء
فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين
عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسال
عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
فان قلت هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود
له جىء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شىء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانه على كل شىء شهيد وقيل
لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول والاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)